البادية الموريتانية والثقافة المكتوبة

محمد بباه بن محمد ناصر*

محددات

من أبرز الظواهر اللافتة للنظر في موريتانيا ما ظل مشاهدا إلى عهد قريب من شيوع حياة الظعن كنمط سائد للعيش؛ فقد بلغت نسبة البدو الرحل في هذا البلد 75.1% من مجموع سكانه، وذلك في أول إحصاء منظم أجري سنة 1965، ويُتوقع أن النسبة كانت أعلى من ذلك فيما سبق. غير أن الثلث الأخير من القرن العشرين قد عرف فيه السكان تغيرا كبيرا في نمط العيش؛ وهو يُعد تغيرا عظيما في الكم جوهريا في الآثار التي خلفها؛ فقد انخفضت نسبة الرحل إلى 35% سنة 1977 أي أقل من نصف ما كانت عليه سنة 1965، إثر موجة الجفاف الماحق الذي حل بالمنطقة منذ سنة 1969.

الجدول رقم 1

توزع سكان موريتانيا حسب نمط الإقامة سنة 1965

نمط الإقامة	عدد السكان	%
البدو الرحل	772540	75.1
الريف المستقر	167623	16.3
المراكز الحضرية	88846	8.6
المجموع	1029009	100

المصدر: تم إعداد الجدول اعتمادا على

République Islamique de Mauritanie, Ministère des Finances, du Plan et de la Fonction Publique, **Enquête démographique1965**: Résultats définitifs, A.N.S.E.E, Département de la Coopération (République Française), Société d'étude pour le développement économique et sociale, Paris, 1972, p. 30

---

*- أستاذ باحث بقسم الجغرافيا/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الجدول رقم 2

توزع سكان موريتانيا حسب نمط الإقامة سنة 1977 ــ 2000

نمط الإقامة	1977		2000	
	عدد السكان	%	عدد السكان	%
البدو الرحل	495973	35	128163	5.1
الريف المستقر	614788	43.3	1442796	57.5
المراكز الحضرية	308318	21.7	937200	37.4
المجموع	1419079	100	2508159	100

المصدر: الإحصاء العام للسكان 1977 والإحصاء العام للسكان والمساكن 2000

ثم استمرت نسبة البدو الرحل في الانخفاض خلال العقود الثلاثة التي تلت ذلك. ولم تزد نسبة أولائك البدو الرحل على 5.1% من مجموع سكان موريتانيا سنة 2000، وهي اليوم أقل من ذلك.

وليست مظاهر هذا التغير والتحولات التي صحبته هي ما سنركز عليه هنا، بل سنحاول ــ بحول الله ــ تناولها في معالجة أخرى.

ونحاول أن نتناول في هذه الورقة أبرز ما كانت البادية الموريتانية (الشنقيطية) قد انفردت به أو ميزها عن باقي بوادي العالم، ونعني هنا تحديدا الجمعَ بين ظاهرتي الظـــعن واكتساب المعارف المكتوبة التي تنبذ العنف المادي وتبجل حياة السلام والأمان.

ومعلوم أن الظعن واكتساب المعارف المكتوبة (أو ما يُـطلق عليه أحيان الثقافة العالمة) نشاطان يناقض أحدهما الآخر في الغالب.

تطور نمط العيش في موريتانيا 1965 ــ 2000

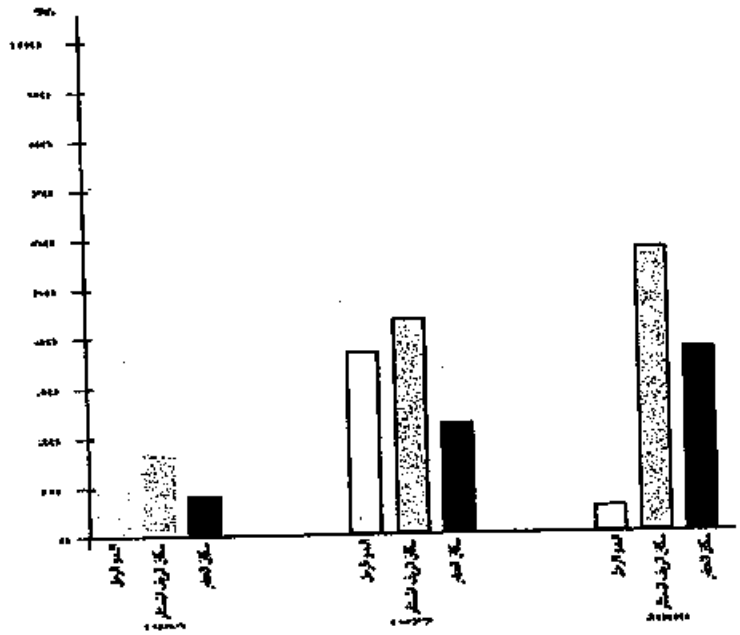

المصدر: الجداول 1 و2 و3

البداوة وملامحها المألوفة

قد يكون الظعن، ونعني به هنا دوام الانتقال من موضع إلى موضع ومن منطقة إلى أخرى لوضح سمة للبدو وأكثرها حضورا في الذهن. وتصحب هذه السمة سمات غيرها مثل الاحتفاء بالروابط العصبية والتشبث بعلاقة النسب، وما يلازمهما من حمية وعصبية. ويشيع بين البدو حيثما كانوا تقديرهم لبعض السجايا الحميدة كالشجاعة والفروسية والكرم.

وتعدُّ طريقة كسب العيش سمة أخرى مميزة، وهي في الغالب الرعي الواسع على السُّـنن التقليدي؛ والرعي نشاط قلما يوفر للبدوي أكثر

من آكد ضروريات الحياة[1] فينشغل المرء بالضروري عما سواه في يشبه ترتيبة هرم الاحتياجات البشرية (La pyramide des besoins de l'être humain) أي نظرية الحوافز لعالم النفس الأمريكي إبراهام ماسلو (Abraham Maslow)[2].

ومن الأنشطة الاقتصادية المكملة للرعي لدى البدوي، أينما حل، خدمة القوافل التجارية؛ فهو المعوّل عليه في حمايتها من اللصوص

---

[1]- يراجع: عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل، [د.-ت] ص: 133.

[2]- يتكون هرم الاحتياجات البشرية عند ماسلو من خمسة مستويات (خمس درجات) مرتبة، هي من الأسفل إلى الأعلى:

المستوى الأول: الحاجات الفسيولوجية: التنفس والأكل والشرب والتخلص من الفضلات والنوم واللباس والجنس.أي ما هو ضروري لبقاء الإنسان على قيد الحياة؛

المستوى الثاني: السلامة والأمان: وتعني أمان الشخص جسديا ونفسيا في ذاته وأسرته ووسائل عيشه؛

المستوى الثالث: الحب والانتماء: أي شعور الفرد بأنه محبوب من الآخرين ويمكنه أن يتفاعل معهم ويكوّن صداقاته؛

المستوى الرابع: الاحترام والتقدير: شعور الفرد بتقدير الآخرين له واحترامهم إياه، وشعوره بالنجاح وبتقديره لذاته؛

المستوى الخامس: اعتبار الذات وتحقيقها: أي أن يحقق الفرد آمالـــه وطموحاته، ويتم ذلك باستخدام قدراته ومواهبه لتحقيق ذاته ولأن يكون أفضل ما يكون، ويسهم في الخلق والإبداع، ويساعد الآخرين.

ويرى ابراهام ماسلو أن اهتمام الفرد لا ينتقل من المستوى الأول إلى المستوى الثاني إلا بعد أن تتوفر له الحاجات الفسيولوجية (حاجات المستوى الأول)؛ ولا ينتقل اهتمامه إلى المستوى الثالث إلا بعد أن تتوفر له حاجات المستوى الثاني، وهكذا إلى أن يصل إلى المستوى الأخير أي الخامس. وأي خلل في أحد مستويات الهرم يمنع من بلوغ المستوى الذي يعلوه، فلا يمكن لمن لم تتحقق له السلامة والأمان أن يهتم كثيرا بالحب والانتماء أو ما فوق ذلك من مستويات الهرم. وغني عن البيان أن هذا الترتيب غير صارم ولا يصدق على جميع الأشخاص، وقد لا يلائم كثيرا من الحالات، ولكنه قد يستخدم كـــترسيمة عامة (Schéma général) يُـــستأنس بها في حالات كثيرة. يراجع:

Abraham MASLOW, **Vers une psychologie**..., Fayard, Paris, 1989

وإرشادها في مجاهل الصحراء وتموينها إذا لزم الأمر[1]. وربما حلت الإغارة والسطو على القافلة محل الحماية والإرشاد، أو على غيرها، ودواعي البدوي لذلك التصرف كثيرة[2]!.

وتكاد ثقافة البدوي العادي (في غير الصحراء الموريتانية) تنحصر في مجموعة من المهارات التطبيقية العملية التي يمتحها غالبا من تجارب الحياة اليومية ومن ظروف البيئة المحلية، وهي عموما معارف شفوية يُـوَرِّثُـها الآباء أبناءهم باستمرار، فتأتي حياة الخلف صورة مطابقة لحياة سلفه أو تكاد.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك وقفات تأملية مهمة، يهيجها الانفراد مع الذات ضمن إطار طبيعي فسيح أرضا وسماء، يَخضـــع البدويُ لمقتضياته خلال معظم أوقات حياته، ويتم تداول تلك التأملات في صيغة أشعار أو حِكَم وأمثال تكمل تلك الثقافة البدوية الشفوية.

ويـــؤثـــرُ عن البَدْوِ، أو الأعراب، أنهم عادة أقل عناية بالعلم وبالتعلم من سكان المدن، ودونهم في ممارسة الشعائر الدينية غالبا، كما كان معروفا منذ ظهور الإسلام، حتى قـيل[3]: "ثلاث من الكبائر، منها التَّـعَرُّبُ بعد الهجرة: وهو أن يعود الرجل إلى البادية ويقيم مع الأعراب[4]، بعد أن كان مهاجرا. وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه [في البادية] من غير عذر يعدونه كالمرتد".

وأشكال البداوة تختلف اختلافا بَيِّنا بين منطقة وأخرى، فنجد مربي المواشي في المراعي الوفيرة نسبيا يتجولون بين شعاب جبال الـقـمَـرَا (في سلطنة عُـمان) يمارسون نوعا من الحياة البدوية في فضاء محدود نسبيا، وهم إلى ذلك يظلون بدوًا. ويتواجد بعض مربي الأغنام في شمال الجزيرة العربية، وهناك يمارسون بدورهم نوعا آخر من حياة الظعن في سهول أرحب. وكنا

---

[1]- صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، دار غريب، القاهرة، 2005، ص. 131

[2]- صلاح مصطفى الفوال، المرجع السابق، ص. 149

[3]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: عرب.

[4]- ﴿الأعـرَابُ أشَدُّ كُـفـراً ونِفَاقـاً﴾ التوبة، الآية 97.

حتى عهد قريب نجد بقيةً من البدو الظاعنين من مربـــي الإبل يتسقـــطون مواقع المطر في وسط الجزيرة العربية ويعيشون بطريقة تشبه كثيرا تلك الطريقة التي ألفها أسلافهم منذ عشرات القرون.

غير أن الذهن، عند ذكر البدو، قد ينصرف إلى غير جماعات البدو في شبه الجزيرة العربية وشمال أو شمال غرب إفريقيا، بل ينصرف إلى "بَـدْوِ الفروسية والحرب"[1] الذين انتشروا منذ قرابة ثلاثة آلاف سنة في شمال غرب آسيا، وخاصة في شمال وشرق إيران، فنشأ هناك نوع من البداوة المحاربة الممقوتة التي كانت مصدر تهديد لكثير من الحضارات الواقعة في شمال غرب آسيا وخاصة الحضارة الإسلامية في بعض الفترات.

ومن الدارسين من لا يحضر في ذهنه عند ذكر البـــداوة إلا بداوة النَجر[2] الهائمين في بعض أنحاء أوربا.

وقد تعودنا أثناء تصفح أعمال بعض الدارسين التي تتناول بادية شنقيط أن نجد من يميل إلى اتباع أسهل السبل، بـــأن توزن هذه البادية بميزان غيرها من البوادي؛ وكأن هناك حتمية طبيعية، أو تاريخية، لا مناص من الخضوع لمقتضياتها، وبموجب تلك الحتمية تـــشحن الفضاءات البدوية أيا كانت، بمحتوى ثقافي متماثل، وبصورة يـــظـــنُّ أنها تبيح الحكم على كل بدوي بأن ليس له من الثقافة المكتوبة نصيب يذكر[3]. يستوي في ذلك البدوي الشنقيطي وغيره.

ولكنّ من يتأمل البادية الشنقيطية يلاحظ ملامح واقع ثقافي يختلف في جوانب كثيرة منه عن واقع أغلب سكان البادية الآخرين.

---

[1]- موانت گومري وات، البدو، ترجمة إبراهيم خورشيد وغيره، كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص. 51.

[2] les gitans

[3]- محمد المختار ولد باه، الشعر والشعراء في موريتانيا، تونس، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1987، ص. 23.

البادية الشنقيطية: بين الدعوة إلى السلم والاستماتة في طلب العلم

يبدو أن البداوة أو "البداوات" التي أشرنا إليها تشارك البادية الشنقيطية في كثير مما تحيل إليه، بيد أنها تختلف عنها اختلافا بَيِّنا لمن يركز في المعاينة على الثقافة المكتوبة ومحامل تلك الثقافة.

فمن الملاحظ أن بعض الفئات المعتنية مباشرة بطلب العلم في البادية الشنقيطية قد نبذت السلاح[1]، وتبنت منهاجا لرفع الظلم وانتزاع الحقوق يستبعد استخدام العنف المادي دوما، ويرفض الاستسلام غاليا، ويعمل على تسخير "الظالم" وصدّ العدو باستخدام مجموعة من الوسائل "السلمية" والسبل "التربوية" التي قد تدخل في باب "العنف الرمزي[2]".

ويمكن تلخيص هذه الوسائل والسبل في مجموعة الإجراءات التالية:

1. حرص ذي المكانة العلمية على التحلي بسلوك الورع الزاهد والقدوة، وبذا يكتسب مهابة ويزداد مكانة؛
2. الدفع بالتي هي أحسن لحمل العدو على الانتقال من خانة العداوة إلى خانة الولاء والصداقة[3]؛

---

[1]- لا يعني هذا أن كل من اشتغل بالعلم من الزوايا أو غيرهم يتخلى عن حمل السلاح نهائيا، بل هناك قبائل زاوية اشتهرت بالعلم وحمل السلاح خاصة في شرق موريتانيا ووسطها مثل قبيلة تجكانت المشهورة بعلو الكعب في العلم حتى قيل: "العلم جكني" كما عرف عنها الثبات في الحرب عند التصدي للعدو، وكذلك الشأن بالنسبة لبعض المجموعات "الحسانية" التي اشتغل أفرادها بطلب العلم واشتهر كثير من رجالها بطول الباع في علوم الشرع وعلوم الآلة، وبقوة الشكيمة عند التصدي للمعتدين، مثل أولاد يونس وأولاد بورده في ولاته؛ غير أن حمل أهل العلم السلاحَ يقتصر على الدفاع عن النفس والمال.

[2]- بيير بورديو، العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د. ت.)، ص. 35

[3]- كان الشناقطة يستحضرون في الأغلب الآيات التي تحث على الصبر والعفو مثل قول الله تعـــالى:﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم؛ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى 43)؛ ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (الفرقان 63)؛ أما الآيات التي تدعو إلى الثأر من الظالم فيبدو أن حضورها في خطابهم السياسي كان أقل، مثل قوله تعالى:﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح

3. تبني مبدإ الحياد غالبا والابتعاد عن كل ما له صلة بالصراعات المسلحة بين الفئات المتحاربة؛

4. استحضار أسلحة الانتقام الإلهي من كل ظالم أو متسلط (التـأثُّه) وهو "سلاح ماضٍ" واسع الانتشار لديهم، وقد يسلجأ إلى استخدام "السر" أو ما يشبهه مما "يُضنُّ به على غير أهله"؛

5. التعويل على الابتهال والضراعة إلى الله عز وجل لكف الضرر وجلب النفع لهم ولمن أعانهم؛

6. اللجوء أحيانا إلى المداراة بالمال وإلى التنكيب (أي تجنب الأماكن والمسالك التي تسلكها عصابات اللصوص عادة)[1].

7. إذا استُنفِدَت كل هذه الآليات ولم تُجْدِ كان من حق من أصابهم البغي أن ينتصروا بالقوة المادية بقدر ما يردع الظالم ويرفع الظلم، وهو اختيار قلما يلجأ إليه لنجاعة ما يُستخدم قبله من الوسائل.

وكثيرا ما يتم رفع الظلم في الحالة الأخيرة بمساعدة طائفة من ذوي الشوكة (حملة السلاح) وتحصل في المقابل على إتاوة و/أو تنتظر بركات وضمانات أخروية من لدن الشيخ المستجير أو الفئة المظلومة؛ وربما كان الشيخ سيدي محمد الكنتي الأكبر، وكان صاحب علم وكرامات، من أقدم الشناقطة الذين استخدموا هذا النهج عندما استعان، في القرن الخامس عشر للميلاد، بمجموعة من المغافرة[2] منحته نصرا مؤزرا على إمارة بدوكل التي كانت تسيطر على غرب بلاد شنقيط، فبذلك رَفَع عنه ما ناله من حيف أخواله

فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾.(الشورى 39 – 41)

[1]– يُسَوِّغون ذلك بأنهم يمتثلون قوله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ راجع محمد عبد الله بن البخاري بن الفلالي، كتاب العمران، مخطوط لدينا منه صورة.

[2]– يقول محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري المغفري مشيدا بمآثر قومه:

ومن قبل دوُّخنا " تُرناگـــة" إذ شكا لنا منهم "الكنتي" شيخ الأكابر؛

يراجع الغالي بن الحسين، "المرابطون والذاكرة الجمعية خلال القرنين 18 و19"، في مجلة مصادر، الكتاب الثاني، كلية الآداب، جامعة نواكشوط، 1999، ص.ص. 149 – 150.

"إيدوكل" وخضد شوكتهم. ويرى محمد مبارك المتوني أن الشيخ الكنتي استخدم "جَدْوَلاً" أعانه على القضاء على خصومه[1].

ويمكن القول إجمالا إنه تم في البادية الشنقيطية تبني نهج فريد في الدعوة إلى السلم وإلى الإنصاف جاء اختياره، على ما يبدو، نابعا من الفئة نفسها الأكثر إقبالا على التعلم[2]، فقد نبذت طوائف من هذه الفئة العنف الجسدي واستبدلته بالاحتكام إلى النص الشرعي وإلى العقل، وتم أكثر ذلك دون إكراه أو إلزام من حاكم أو قوة سياسية أو عسكرية. ورأت هذه الفئة في حمل القلم، بدل السيف، مصدر قوة واعتزاز، فتمكنت بمرور الوقت من تكوين رأس مال رمزي شيدت به حصونا لحفظ الأنفس والأموال العائدة إليها أو إلى الأتباع[3] وأزالت بعضا من مظاهر الحمية البدوية مثل الأخذ بالثأر دون احتكام إلى النص الشرعي[4]، وسعت إلى أن تستتبت في الفضاء البدوي تحديدا قيما حضارية ترتضيها، تتأسس على تحقيق أمور لعل أبرزها:

- إشاعة المعارف المكتوبة عادة؛
- العناية بإعمار الأرض[5] مثل حفر الآبار؛
- ممارسة حرف اقتصادية كالتجارة والزراعة؛
- تشييد بعض المدن[1].

---

[1]- الداني بن الحسين، المرجع السابق، ص.151.

[2]- كان الصلحاء الأولون من أهل مدينة تيشيت يقولون لكل من نزل عليهم: "أهنز' دمك ولاّ لا تبنّ" يراجع الشيخ محمد المامي بن البخاري، كتاب البادية، تصحيح بابـــه بن محمادي، زاوية الشيخ محمد المامي، نواكـــشوط، 2007، ، ص. 535

[3]- الشيخ محمد المامي بن البخاري، المرجع السابق، ص. 312

[4]- لا يعني هذا عدم وجود فئات من المجتمع تحرص على الأخذ بالثأر عنوة وانتقاما، ودون مراعاة لقواعد الشرع، ولكن الفئة الأكثر اشتغالا بالتعلم وهي فئة الزوايا ومن سار على نهجها من الأمراء وذوي الشوكة، كانت تحترم المسطرة الشرعية في الدماءات وفي المعاملات، وفي العبادات طبعا..

[5]- Francis de Chassey, l'Etrier, la houe et le livre, Anthrpos, Paris, 1977, p.52 et suivantes.

ولم يغب عن العلماء في البادية الشنقيطية القول بأن التمدن واجب والتبدي منهي عنه، ولكن لم يأخذوا التمدن على أنه "الانضمام الحسي" إلى المدينة، ولكنه التخلق بما هو ممدوح من أخلاق أهلها، وهو أمر يمكن أن يتحقق لأهل البادية الذين لا يستطيعون ترك الظعن؛ فلو تركوا الرحيل لما عاشوا[2].

منهج الإنصاف المُقْـــتَـــرَح

دعا بعض علماء البادية الشنقيطية إلى نوع من المنافسة المعرفية، وإلى ضرورة الاختلاف مع التمسك دوما بالصبر والروية[3]؛ يقول الشيخ محمد المامي بن البخاري:

(وافر)

ولم يبرح لدى فحلين منا شقاق في علوم العالمينا

وهو ما يشي بإدراك قيمة الفصل بين ذات الفرد وأرائه بصورة تتيح الحكم بموضوعية على الرأي من لدن صاحب ذلك الرأي ومحاوره، وكثير من متعلمينا ينحاز اليوم لرأيه وكأنه عضو من أعضاء جسده[4]

و في القصيدة نفسها يتوسع ابن البخاري في مجال التنافس على السلطة محددا آداب المنافسة ومبرزا حدودها، داعيا إلى الإنصاف وإلى التقيد التام بأدب المنافسة:

يقوم بأمرنا منا أصـــــيل ينازعه عليه الأقربونا

---

[1]– مثل شنقيط ووادان وتيشيت وتنيكي أولا، ثم أطار وتجكجه (أو تجكجه) وأوجفت وقصر البركه وتنيكي والرشيد وغيرها.

[2]– الشيخ محمد المامي بن البخاري، كتاب البادية، مرجع سبق ذكره، ص. 246

[3]– محمد اليدالي بن ساعيد، نصوص من التاريخ الموريتاني: شيم الزوايا وأمر الولي ناصر الدين ورسالة النصيحة، تقديم وتحقيق محمذن ولد باباه، بيت الحكمة' تونس، 1990، ص.ص 60 ــ 106

[4]– طارق حجي، نقد العقل العربي: من عيوب تفكيرنا المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1999، ص. 68

نزاع سلاسة لا خُرق فيه، ويغلِب بالأناة الغالبونا[1].

هذه رؤية تبدو كالمسلمة على عهد الشيخ محمد المامي فلا نجد من اعترض عليه أو سفّه قوله، بل إن محنض بابه بن عبيد الديماني يحدد في سياق مشابه طريقة اختيار من يُولّى السلطة أي الإمامة الكبرى: (كامل)

فاغدوا على نصب الإمام بقرعة! وابغو بذاك نصيحة الإسلام[2]

إن من يتأمل مثل هذه النصوص وما شابهها يستوقفه أمر هؤلاء العلماء الشناقطة وما أشادوا به من اختلاف علمي يزيد العالِمَ تمكنًا وصلابة عود، ويمهد طريقا مستقيما للراغب في الوصول إلى الحكم. وتبني منهاج المنافسة السلسة سبيلا للوصول إلى قمة السلطة أمر يدعو إلى الاستغراب في مثل ذلك الظرف الزمني (النصف الأول من القرن التاسع عشر) وفي منطقة أهلها يمارسون الظعن بانتظام، تدعوهم إلى ذلك ضرورة العيش؛ يقول الشيخ محمد المامي[3]: "لو ترك أهل البادية الرحيل لما عاشوا"؛ فالدعوة إلى تبني نهج سلمي يرمي لصحابه إلى الاستيلاء على السلطة باستخدام "نزاع سلاسة لا خُرق فيه" يكون ختامه أن "يَغلِبَ بالأناة الغالبون" أمر لا نجد له نظيرا في الحواضر الإسلامية في ذلك التاريخ، فما بالك بأهل البادية الظاعنين؟

وليس هذا هو السبيل السلمي الأوحد لديهم بل إن الاحتكام إلى القرعة يمثل أسلوبا سلميا آخر يمكن أن يسلكه من يرى في نفسه أهلية على القيام بالأمر العام.

فمتى كان التنافس على الخلافة وتولي سدة الحكم يتم تسييره بسلاسة ويحسم بالأناة والحلم أو باللجوء إلى الاقتراع، خصوصا في تلك الفترة وفي مجتمع عربي إسلامي بدوي؟ أهي "شواهد" صامدة تنبثق انبثاقا

---

[1]- الشيخ محمد المامي بن البخاري، كتاب البادية، مرجع سبق ذكره، ص. 22

[2]- انظر مقدمة ديوان ابن الطلبه، ص. 25 – 26.

[3]- كتاب البادية، مرجع سبق ذكره، ص. 324

من "اللاشعور السياسي"[1] تستمد جذورها من حياة المدينة التي عاشها بعض السلف قبل ذلك بقرون؟، أم أنها تجليات برزت من "اللاشعور الجمعي"[2] ولها أصول تعود إلى عهد أفلاطون أو الفارابي في السياسة المدنية وآراء أهل المدينة الفاضلة؟ أم هو استشراف وقراءة في المستقبل غذتهما ثقافة مكتوبة دُعِّمت بحدس بدوي مصيب ...؟

بين المشروع والمنجز:

لا نرى صوابا استبعاد أي احتمال تضمنته التساؤلات السابقة التي قُصِد بها نوع من الافتراض، فمن الأرجح أن تكون تلك العناصر، وعناصر أخرى غيرها، قد أسهمت مجتمعة في صياغة ذلك الوضع. وكأن القوم لما لم يجدوا سبيلا لإقامة المدينة التي يرتضونها اقتصروا على البادية اضطرارا، ولكن كان طموحهم أن يجعلوا باديتهم "بادية فاضلة" كالمدينة الفاضلة، والمدينة الفاضلة ــ كما يرى ابن رشد (أبو الوليد) ــ "معنية بإكراه مدن الضلال على السير على طريق الفضيلة، وإذا حصل ذلك بالإقناع وبالسبل السلمية فإن ذلك يكون أفضل"[3]

وكان من أطَرِ لهذا بصورة مباشرة، وإن ظل مجرد مشروع لم يكتب له أن يتحقق على أرض الواقع بشكله الواضح الذي لا مراء فيه، هو ذلك الجهد الدؤوب الذي ثابرت عليه مجموعة من العلماء المستنيرين؛ وقد اتخذت جهودهم أشكالا عديدة في طليعتها الدعوة إلى منظومة القيم المحمودة من صبر وحلم وورع، وسمو إلى المكرمات

---

[1]- يراجع محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي: العقل السياسي العربي (محدداته وتجلياته)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.2، 1991، ص:11.

[2]- يرى الباحث السويسري كارل جونغ Carl G. JUNG 1875 - 1961 أن اللاشعور يضم زيادة على أنواع الرغبات المكبوتة "رواسب دفينة في النفس البشرية ترجع إلى تجارب وخبرات النوع الإنساني يمتد بعضها إلى الماضي السحيق، إلى ما قبل نزول آدم إلى الأرض". وهو ما أطلق عليه "اللاشعور الجمعي". يراجع محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص:10.

[3]- يراجع: فريد العليبي، "رؤية ابن رشد السياسية"، المستقبل العربي، إبريل 2011، العدد 386، من ص. 77 ــ 90

العوالي؛ يقول ابن الطلبه مخاطبا مجتمعه الشنقيطي الذي نشأ فيه: (الخفيف)

وَآمُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنـــكر واسموا للمكرمات العوالي
والهُوَيْنَا دعوا وللمجد فاسعوا وصـــعاب العُلا بصعب الفِـعال[1]

وقد تحقـــق من هذه القيم ما أصبح حُلْيَة تستدعي الإشادة والتنويه:

(بسيط)

...العلم علمهمُ، والعَقل عقلهمُ، والحِلمُ حلمهمُ، والدين ما دَانوا[2]

ويؤكد الرجل نفسه غبطته بما تبناه قومـــه الشـــناقطة مـــن حلـــم ورجحان عقل، وما انتهجوه من اهتمام بأصول الشريعة:

(طويل)

حلومهمُ أحلام عاد ودينهـــم بنوه على الأُسِّ القويم المُمَنَّع[3]

ثم يضيف في مكان آخر من ديوانه:

(طويل)

وفـــتيان صدق قد دعوت فبـــادروا لِمَحْمَـــدَةٍ تغلـــو علـــى كـــل بَيِـــع
...همُ ملكوا ما بين شرق ومغرب وسادوا هم بالحلم؛ لا بالتَّـــتَـــرُّع[4]

ويبدو أن الدعوة إلى هذه القيم العالية، وهي العلم والحلم والصبر والورع والزهد في متاع الدنيا، وجدت آذانا صاغية لدى النخبة المتعلمة وأصبحت تنافس في المجتمع، لو في جزء كبير منه، قيمَ الفروسية والبلاء

---

[1]- محمد بن الطلبه، ديوان ابن الطلبه، تحقيق محمد عبد الله بن الشبيه، مراجعة: محمد سالم بن عدود، تقديم محمد بباه بن محمد ناصر، الناشر: أحمد سالك بن محمد الأمين بن ابوه-دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، النص 17، البيتان 29 و 30.

[2]- ديوان ابن الطلبه، النص 79، البيت 5.

[3]- ديوان ابن الطلبه، النص 40، البيت 44.

[4]- ديوان ابن الطلبه، النص 40، البيتان 36 و 49؛ (التترع: الإسراع إلى الشر).

في الحروب التي احتلت الصدارة في الثقافات البدوية الأخرى على اختلاف مواقعها وتباين أشكالها، وخلا منها جل النصوص البدوية الشنقيطية.

وأخذت فسائل العلم وثقافة السِّلم، بعد أن استنبتها فئة العلماء القيمين على المجتمع، أخذت تنمو وتتطور، فتغيرت وسائل الحرب وميادينها، وتطورت أدوات المناجزة وتحولت من معدات حربية مادية إلى أفكار راجحة وقِيم فاضلة، أقصت السيف وضرب الهام، واستبعدت البندقية وغيبت الخيل والرماح من ميادين المعركة، وأصبح الإجهاز على الخصم يتم بالحجة الدامغة والرأي الوجيه فيُسَلِّم ذلك الخصم ويستسلم إذعانا لحبر قلم محكَّم بعد تهميش السيف والسنان، والاعتراف بسلطان النص:

(طويل)

...ولم أفْحَم الخِنْذِيذَ في يوم مجلسٍ من الناسِ مشهودٍ، وما كان مُفْحَما!
أتى ثانيا من جِيده مُتخَمِّطًا يمجُّ لُغامًا مستطيرًا وبلغما
فصَدَّ صدود المستكين كأنه من الذُّلِّ محسوم الخصاء وأخْجَمَا[1]

ويصرح أحدهم بما حصل من تبدل في طبيعة هذه الحرب[2]: (بسيط)

حرب "الزوايا" جدال أو مناظرة أقلامهم كقسي النبع والسمُر؛ وحلت معية اللوح والدفتر محل السيف والخنجر المصاحبين، وغدا دفتر التقييدات (الكناش) أحد مستلزمات الفتوة، يروح مع الفتى ويغدو أينما توجه. بعد ما تم من تغييب للقوة العضلية في الصراعات وإحلال القدرات الذهنية الفاعلة محلها؛ وأصبحت اللازمة التي تتردد على ألسنة الرواة:

(مشطور الرجز)

لابد "للزاوي" من "كُنَّاش" يجمع فيه العلم وهو ماش

---

[1]- ديوان ابن الطلبه، النص 69، الأبيات 75- 77.

[2]- المأمون بن محمد الصوفي (ت. 1232 هـ)، ديوانه، (تحت الطبع).

يطلق لفظ الزوايا على المجموعة الأكثر اهتماما بالتعلم في موريتانيا قديما، وهو مصطلح يحيل إلى منظومة سلوك، لا إلى عرق أو جهة، فمن الزوايا من ينتمي إلى أصول صنهاجية، ومنهم من ينتمي إلى بني حسان، كما أن منهم منتمين إلى الزنوج وغيرهم.

وشاعت بين الرواة الفتوى بوجوب العلم على الرجال والنساء سواء بسواء، وعُدّ ترك التعلم منكرا من استمر عليه كان في منزلة مرذولة دون مرتبة الحيوانات التي تصنف، في الثقافة العربية الإسلامية حيوانات منحطة أو شريرة[1]. وواظبت فئات من الشناقطة على الاستماتة في طلب العلم[2] بشكل لا نجد ما يدانيه في باقي بوادي العالم[3]، وتم ذلك في ظروف طبيعية وبشرية بالغة الصعوبة، نورد منها هنا نموذجا يُعَدُّ واحدا من مئات النماذج التي عاشتها أجيال المتعلمين الشناقطة خلال القرون الأربعة الماضية، وهي نماذج تـبرز مدى الاستماتة في طلب العلم وما يبذله الطالب من جهد لا مزيد عليه في سبيل الحصول على المعارف:

كان محمد بن محمد البخاري بن حب الله[4] شيخ محضرة شنقيطية، وهو ممن اشتهرا بسعة المعارف وبالورع، وقد حكى في حديث له مع تلاميذه، وهو يحثهم على المواظبة على التعلم، الحادثة التالية؛ قال هذا الشيخ:

---

[1]- يقول أحد الشناقطة، وقد عقد الفتوى بالنظم على عادتهم:

وطـــلب العلم وجوبه شـــمـــل جمع الذكور والإناث كالعمل

... ومَنْ على ترك التعلـــم استمـــر فهو كلب أو حمار أو أشـــر

[2]- يقول حماد المجلسي الشنقيطي حاضا على الاستماتة في تحصيل العلم:

له تَغَرُّبٌ وتواضُعٌ واتِّـــــــرَعْ وجُـــعٌ وهُزْ واعص هواك واتَّبِعْ

حتى يُرى حالُـــك حالَ المنـــشد:

لو ان سلمـــــى أبصرت تَخَدُّدي وبِقَّةً في عظم ســـــاقي ويدي

وبُعد أهلي وجـــــفاةَ عُـــوُدي عضت من الوجـد أنامل اليـــد

والقصد به وجه الذي أتشاكـــــا ولا تُـــناوِ فـــــيه من ناواكـــــا

[3]- يقول أحد الشناقطة واصفا طلاب العلم وصفا فيه الكثير من الواقعية:

تلاميذ شتى ألف العلم بينـــهم لهم هِمَـــمٌ قصوى لجل من الدهـــر

يبيتون لا كِنًا لديهم سوى الهوا ولا من سرير غيـــر أرمدة غُـــبْر

أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي ومكتبة منير، ط.3، 1989، ص:151.

[4]- كنيته "حَمَّـــد"، تـــوفي سنة 1381 هـــ. بعد ما عاش نحو 90 سنة. ويبدو أن الحادثة كانت في العقد الأول من القرن الرابع عشر للهجرة.

"لو كان لـــمتعلم أن يذعن لأي ظرف يحول بينه وبين الدراسة يوما واحدا لكففت عن الدراسة في يوم واحد جرت أحداثه على النحو التالي:

لقد كنت طالبا أدْرُسُ في "محضرة أهل محمد سالم[1]" الشهيرة، وفي فجر أحد الأيام جاء النذير ليخبر بأن جيشا مدججا بالسلاح، متخصصا في السلب والغصب، قد أخذ طريقه نحو الحي نفسه الذي أتلقى فيه الدرس على يد شيخي. وتـــعَزَّز الخبرُ بأن ليس في الجيش المذكور من ينتمي لأي جماعة لنا بها صلة تعين على اتقاء شره. فاتـــخِذ القرارُ في المسجد البدوي المؤقت بالانصراف من وجه الجيش، والرحيل والتنكيب إلى موضع أكثر أمنا. وتم تقويضُ الخيام وحملُ المهم من الأمتعة بأقصى سرعة، وأخذنا نـــفِـذ السير من فجر ذلك اليوم حتى وقت صلاة العشاء، فنزل الحي، ولا تسأل عن ما أصاب الناس والدواب من إعياء. وشق علي أن ينقضيَ يوم كامل دون أن أتلقى درسا جديدا، رغم ما بي من إرهق؛ فقد قطعت مسافة الرحلة كلها من الفجر حتى انقضى ثلث الليل سيرا على قدمي. وكان الظلام شديدا في تلك الليلة، ولا سبيل حينها إلى مصباح غير نور النار، وكانت الصحراء التي نزلنا بها جرداء لا تنبت شجرا ولا وجود بها للحطب[2]. وفوق ذلك يمنع في مثل هذا الظرف إيقاد النار لـــيلا، إذ يـــحتمل أن يدل نورها أو رائحة دخانها إحدى عصابات اللصوص على الحي. ففكرت مليا وجاء الحل بأن عمدت إلى ناقتين حلوبين، وكان الحليب المادة الوحيدة التي نعتمد عليها خلال الدراسة تلك السنة، فنزعت شماليهما المصنوعين من الحلفاء[3]، وفككت فتل الحبال المكونة للشمالين، ونفشت تلك الحلفاء، واستعرت من إحدى الأسر هودجا و"قروا"[4]، فغطيت الأول بالأخير بحيث لامست أطراف

---

[1]- أهل محمد سالم من أكثر مجموعات زوايا شنقيط اهتماما بالمعارف الإسلامية والعربية، اشتهر منهم جماعة بالتبحر في علوم الفقه واللغة، منهم محمد بن محمد سالم وبنوه وحفدته وإخوته وخاصة العالم أحمد المعروف بالعلم وبرقة الشعر والزهد. (ومن مؤلفات محمد بن محمد سالم: الريان في علوم القرآن، والنهر الجاري على صحيح البخاري).

[2]- لعلها رمال "أزفـــال"

[3]- الحلفاء: سعف شجيرات السبط (Stipagrostis pungenis)، وهي أليافٌ تصنع منها الحبال.

[4]- القرو غطاء مكون من نحو 21 جلدا من جلود الضأن (7 جلود طولا في 3 عرضا) تم ضم بعضها إلى بعض بعد أن تدبغ وتُصلح. يستخدم غطاء في الأوقات التي يشتد فيها البرد، كما يُستخدم فراشا، وأحيانا يُستخدم كِنسا.

الفرو الأرض لتحجب النور وتحد من حركة الهواء، ثم دخلت تلك القبة وقدحت النار بصفيحة معدن وحجر صوان وضعت بينهما نبالة كتان، وأوقدت من حلفاء الحبال ما أضاء لي، وأخذت اللوح والقلم والدواة وكتاب المختصر، وشرعت أكتب بيد وأسعر النار بالأخرى حتى كتبت في لوحي "قِفا" أي نحو صفحة عادية من مختصر خليل في الفقه المالكي وقرأته حتى استقامت لي القراءة في الثلث الأخير من الليل"[1].

معالم الإلغاء وسمات الانتقاء

وكان العلماء الشناقطة مقرين بأن نبذ السلاح بدعة وقد يكون مخالفا للشرع إذا أدى نبذه إلى لين قناة المسلمين، بيد أن قتل النفس بغير الحق حرام شرعا، والقتل بحق وبغير حق ملازم لحمل السلاح؛ فيكون نبذ السلاح أولى من قتل النفس بغير حق، وذلك لوجوب ارتكاب أخف الحرامين والضررين[2].

وكانت السمة الغالبة على النص الشنقيطي هي الدعوة إلى الحوار المتعقل، وإلى أن تتم المناجزة بالكلمة والقلم، على نحو ما تمت الإشارة إليه من قبل.

ويلاحظ البون الشاسع بين منطلقات هذه النصوص الشنقيطية وأغلب ما وصل إلينا من شعر البادية العربية قديما، ولا نعني هنا البادية في مجتمع جاهلي بل في مجتمع إسلامي صرفا.

وسنورد هنا نماذج محدودة لثلاثة شعراء إسلاميين عاشوا في البادية العربية في صدر الإسلام. منهم: القطامي (عمير بن شييم) وكان يفخر بأن قومه (تغلب) أهل بأس وبطش، لا يزالون يحاربون أعداءهم حتى إذا لم يجدوا عدوا يحاربونه أغاروا على إخوانهم؛ ولعل قبيلة تغلب خير مثال للقبيلة البدوية القوية التي "لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة"[3] وذلك رغم أن الأراضي التي تجوبها هذه القبيلة قد اشتهرت بالخصوبة ووفرة المياه

---

[1]- مقابلة أجريناها يوم السبت 16 أغسطس 2003 مع الشيخ محمد بن محمد محمود بن الكرار اليعقوبي، وهو عالم ثقة، تلميذ حَمَّذ المذكور، ولد نحو 1337هـ.

[2]- الشيخ محمد المامي بن البخاري، كتاب البادية، مرجع سبق ذكره، ص. 503.

[3]- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب، ج. 12، ص. 205.

العذبة، فقد كانت تغلب تسكن بين أربعة أنهر مشهورة هي: دجلة والفرات والخابور والثرثار؛ يقول القطامي هذا: (وافر)

ومن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا
أغرن من الضباب على جلال وضبَّـة إنه من حان حانا
وأحيانا على بكْرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا! [1]

وكان شاعر بدوي آخر قد هجا قبيلة عربية معروفة مصرحا باسمها، فشكته إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هذا الشاعر هو النجاشي، أحد شعراء بني الحارث بن كعب؛ ويهمنا من أبياته المشهورة قوله:

(طويل)

قُـبَـيّلة لا يغدرون بذِمَّـــــة ولا يظلِمون الناسَ حبّةَ خـَرْدَل!
ولا يرِدُونَ الماءَ إلا عشيةً إذا صدر الوُرّادُ عن كلِّ مَنهَلِ[2]

ويستفيض شاعر بدوي إسلامي آخر هو قُـرَيْط العنبري في وصف بني مازن التميميين ويعاتب قومه بالعنبر عتابا هو في مرارته العلقم، وقصيدته تعد من عيون الشعر العربي؛ وفيها تنقلب الموازين لدى هذا البدوي المكلوم، فيصبح للشر خيرا مرغوبا، ويغدو الخير شرا مستطيرا: (بسيط)

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيْه لهـم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا
لا يسألون أخاهم، حيـن ينْدُبهـم في النائبات، على ما قال برهانا
لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عَدَدٍ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

---

[1]- القطامي، عمير بن شييم التغلبي، ديوان القطامي، تحقيق محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص.ص.296 – 297.

[2]- القاسم بن سلام الخزاعي (أبو عبيد)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، [د. م.ن.]، ص 310

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا[1]

إن هذه النصوص، وهي "نصوص ــ مواقف" أي أنها غير محايدة وتتحدث من منطلقات بدوية لا لبس فيها، لتشجعنا على القول بأن أجزاء كثيرة من البادية الشنقيطية، لم تعد في جوهرها، منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، بادية بما يُحيل إليه مصطلح البادية من محامل ثقافية، بل هي نمط من العيش مهجَّن؛ فيه ما يحصل في البادية من تعامل آني مع المكان واعتماد كبير على تربية المواشي، ولكن فيه أيضا، وهذا بيت القصيد، بعض ما يحصل في المدينة من أنشطة علمية حضرية، ويتراكم فيه ما يتم في الفضاءات الحضرية من استقطاب للثقافة المكتوبة وتـــوق صارخ إلى الاستزادة من المعارف. ولا غرابة أن ارتبطت هذه الظاهرة بفترات أمن ورخاء، وبحصول فائض اقتصادي ذي بال، في وقت ظهرت فيه في هذا الفضاء تحديدا مجموعات باشرت نوعا من تقسيم العمل، ومارست أنشطة متشعبة من بينها أنشطة حضرية لا يشارك فيها البدوُ ساكنةَ المدينة عادة؛ واعترف المجتمع بتقسيم عرفي للسلطة بين بني حسان ومجموعات الزوايا وفئة الأتباع؛ فاحتفظ أمراء بني حسان بالسلطة المعتمدة على القوة المادية والتغلب واحتمى بها الزوايا، وأنشأوا بجانبها سلطة دينية رمزية قاموا باحتكارها حتى "أصبح الدين ميزة طبقية" كما يرى محمذ ولد باباه[2]، وتمحضت فئة الأتباع للعمل في تربية المواشي والزراعة و وفي سياق

---

[1]– أبو تمام، حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، شرح الخطيب التبريزي، عالم الكتب، بيروت، ج.1 ، ص. ص. 4 – 5؛ وأول القصيدة:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا!
إذا لقام بنصري معشرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إن ذو لوثة لانـا

وآخرها:

كأن ربك لم يخلق لخشيـــته سواهم من جمـــيع الناس إنسانا
فليت لي بهم قومًا إذا ركـبـوا شدُّوا الإغارة فرسانـًا وركبانًا!

[2]– الشيخ محمد اليدالي، نصوص من التاريخ الموريتاني: مرجع سبق ذكره، ص 97، الهامش 99.

تقاسم العمل يقول الشيخ محمد المامي بن البخاري متحدثا عن بعض مكونات ذلك المجتمع البدوي: (الوافر)

ففـــرْعٌ بالريـــاسة مُستقـــلٌ وفـــرع بالدراســة فائزونا[1]

خاتمـــة

لم يكن المتغـــى رسم سيرة مناقبية لفرد أو فئة أو طائفة، أو التعبير عن الانبهار بما قد حصل أو يحصل من التكيف مع ظرف طبيعي أو بشري أيا كان، بل هو السعي إلى تلمس خلفية أو مستند مقبول لأي عملية تطوير أو تحديث يتطلب إنجازها أساسا مكينا تستند إليه، ودون أن يضطر كل صاحب مسعى للتطوير والتحديث في مثل هذا الشأن وهذا الفضاء العريض إلى قفز مراحل يعد قفزها تجربة محفوفة بالمخاطر، ومحاولة قلما كتب النجاح لمثلها. وقد رأينا أن البادية الشنقيطية (الموريتانية) تتمتع بخصائص فريدة تؤهلها لأن تنال من اهتمام الباحثين ما لم ينله غيرها من البوادي. فقد شيد بهده البادية مشايخ الشناقطة صروحا لكسب المعرفة وإشاعتها وتطويرها ما تزال فيها مجالات فسيحة طريفة تستوجب الدراسة والبحث المتأني. ومن الظواهر اللافتة للنظر في هذه البادية شيوع معية النصوص واستمرار تمليها، واصطحاب الألواح ودفاتر التقييد في الحل والترحال كأمثل وسيلة لتلقي المعارف وامتلاكها وإشاعتها.

وتم في الفضاء البدوي الشنقيطي استحداث آليات لدى فئات من المجتمع تقترح منهجا للإنصاف والتمسك بالسلم ورفض الاستسلام عظيم الفعالية، يمكن إذا تمت دراسته وجرى تطويره أن يسهم في بناء منهج محكم يجمع بين النقلي البناء والعقلي الخلاق.

المراجع:

- ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مادة: عرب.
- ابن البخاري (الشيخ محمد المامي، تـــ 1282 هـــ) ، **كتاب البادية**، تصحيح يابـــه بن محمادي، زاوية الشيخ محمد المامي، نواكـــشوط، 2007

[1]– الشيخ محمد المامي بن البخاري، كتاب البادية، مرجع سبق ذكره، ص. 22

- ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك، تـ 578 هـ)، كتاب الصلة، المكتبة العصرية، بيروت، 2003
- ابن الحسين (الناني) ، "المرابطون والذاكرة الجمعية خلال القرنين 18 و19 " مجلة مصادر، الكتاب الثاني، كلية الآداب، جامعة نواكشوط، 1999.
- ابن خلدون (عبد الرحمن تـ 808)، **مقدمة ابن خلدون** ، دار الجيل بيروت [د. ت.].
- ابن عبد الله (ددود) ، **الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر(17 – 18م.)**، رسالة لنيل شهادة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، 1992.
- ابن الفلالي (محمد عبد الله بن البخاري)، **كتاب العمران**، مخطوط (لدينا صورة منه).
- ابن الكرار (للشيخ محمد بن محمد محمود)، مقابلة معه يوم السبت 16 أغسطس 2003
- ابن محمد الصوفي (المأمون تـ 1232 هـ)، **ديوان المامون**، مخطوط، (تحت الطبع).
- أبو تمام، (حبيب بن أوس، تـ 231 هـ)، **ديوان الحماسة**، شرح للخطيب التبريزي، عالم الكتب، بيروت، (د. ت.).
- بورديو (بيير)، **العنف الرمزي**: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د. ت.).
- الجابري (محمد عابد)، **نقد العقل العربي: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.2، 1991.
- حجي (طارق)، نقد العقل العربي: من عيوب تفكيرنا المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1999
- الخزاعي (أبو عبيد القاسم بن سلام)، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال** [دون معلومات نشر].

- الشنقيطي (أحمد بن الأمين)، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مكتبة الخانجي ومكتبة منير، ط.3، 1989.
- الفوال (صلاح مصطفى)، **علم الاجتماع البدوي**، دار غريب، القاهرة، 2005.
- وات، مونت گومري، **البدو**، ترجمة إبراهيم خورشيد وغيره، كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.
- ولد ابّاه (محمد المختار)، **الشعر والشعراء في موريتانيا**، تونس، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1987.
- اليدالي (الشيخ محمد، ت.1166هـ)، **نصوص من التاريخ الموريتاني: شيم الزوايا وأمر الولي ناصر الدين ورسالة النصيحة**، تقديم وتحقيق محمذن ولد باباه، بيت الحكمة' تونس، 1990
- اليعقوبي (محمد بن الطلبه)، **ديوان محمد بن الطلبه**، تحقيق محمد عبد الله بن الشبيه، مراجعة: محمد سالم بن عدود، تقديم محمد بياه بن محمد ناصر، نشر: أحمد سالك بن محمد الأمين بن ابوه بدار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.

- CLAVAL, Paul, **La logique des villes**, LITEC, Paris 1981
- DE CHASSEY, Francis, **l'Etrier, la houe et le livre**, Anthrpos, Paris, 1977
- FERNANDES, Valentim, **Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Senegal**, publié par P.de Cenival et Th. Monod, R. Et Hist., AOF, Serie A, N° 6, 1936, Paris
- MASLOW, Abraham, **Vers une psychologie**, Fayard, Paris, 1989
- MISKA, Ahmed Baba, **AL-WASIT: tableau de la Mauritanie au début du 20e siècle**, Klincksieck, Paris, 1970.